إلى معالى وزير المعارف

للاستاذ كامل محمود حبيب

أرأيت — يا سيدى — يوم أن زفت لنا البشرى السعيدة ، يوم أن تقلدت منصب الوزارة ؟ لقد وجفت — إذ ذاك — قلوب ، واستبشرت قلوب .

وجفت قلوب لأنها تعلم فى غير شك أن فيك قوة جبارة إن قالت فعلت ، وأن فيك صلابة عاتية إن وعدت أنجزت ، وأن فيك جرأة عارمة إن همت انطلقت ، وأن فيك بطولة صارمة إن انطلقت مرقت . فاستولى عليهم الرعب خيفة البطشة الكبرى ، وعصف بهم الفزع خشية الرجفة العظمى .

ولكنك كنت طيب القلب سمح الخلق كريم السجايا رقيق العاطفة ، فقذفت بالنقمة جانباً ، فقربت نفراً منهم إلى نفسك ، وحببتهم بالخير ، وأغدقت عليهم من الفضل ؛ فاطمأنت النفوس وهدأت القلوب ونام الجزع ؛ غير أن أياديك البيض لم تستطع أن تستل غلا قديماً سرى فى العروق ، ولا أن تستلب ضغناً دفيناً اختلط بالدم .

فلا عجب — يا سيدى — أن تكون — كدأبك أبداً — سماوياً فى رأيك ، علوياً فى خواطرك ؛ ولكن لا تجعل الأفعى تحس بالدفء فى يوم قر

* * *

وبذلت جهد الطاقة لتحل قضية المعلمين ، واستنفدت غاية الوسع لتهدئ من روعهم ؛ وأحسوا هم منك العطف فشكروا لك الجهد الضخم ، وشعروا بالحنان فحمدوا لك الهمة العالية . ولكن فريقاً من الذين وجفت قلوبهم لدى البشرى السعيدة اتخذوا من فضلك دعاوة يروجون بها لأنفسهم ويهرجون بها لأشخاصهم ، ابتغاء لمنفعة شخصية أو طلباً لمصلحة خاصة . وأنت تعلم ما يضطرب فى قلوبهم وتسمع ما تخفق به أرواحهم

فلا عجب أن تكون معهم — كدأبك أبداً — سماوياً فى رأيك ، علوياً فى خواطرك ؛ ولكن لا تجعل الأفعى تحس بالدفء فى يوم قر

وطفرت بالعلم الطفرة العظمى ، الطفرة الموفقة التى عجزت القرون الطوال عن أن تأتى بمثلها ، ففتحت باب المدرسة للفقير وذى الحاجة بعد أن أوصده السلف وأغلقته الكبرياء . فاهتزت الدنيا واستبشر الناس . ولكن الذين وجفت قلوبهم لدى البشرى العزيزة ... الذين وجفت قلوبهم — يا سيدى !

ولا عجب أن تكون — كدأبك أبداً — سماوياً فى رأيك ، علوياً فى خواطرك ؛ ولكن لا تجعل الأفعى تحس بالدفء فى يوم قر .

* * *

واستبشرت — يا سيدى — قلوب وجدت فيك — منذ زمان — العميد والأستاذ والمرشد واستخفها الطرب فهفت تحوك أرواحهم ، وحاموا حواليك يباركون العهد الذهبى ؛ ثم غمرهم السرور حين تفتحت أيامك عن مثل الزهر شذى وعطراً وشملتهم البهجة لأن يدك الرفيقة مسحت على الأرض الجرداء فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

فكن — كدأبك أبداً — سماوياً فى رأيك ، علوياً فى خواطرك ؛ فضمهم تحت جناحك وأفض عليهم من حنانك

* * *

وأشرعت أقلام تستحثها قلوب استبشرت بالبشرى السعيدة ... أشرعت أقلام تحوطك بالإجلال فى اخلاص ، وتحفك بالاكرام فى محبة ، لا تبتغى إلا أن تكون أنت فى السنام والرفعة

فكن لهم — كدأبك أبداً — سماوياً فى رأيك ، علوياً فى خواطرك ؛ فضمهم تحت جناحك وأفض عليهم من حنانك ... وكن — يا سيدى — كدأبك أبداً ...

(الاسكندرية) كامل محمود حبيب